بحث محكم | قسم الدراسات الدينية | 28 ماي 2018

دور العوامل القبليّة والاجتماعيّة في ظهور المحكّمة الأوائل

دراسة تاريخيّة

محمَّد يسري أبو هدور
باحث مصري

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2018
All rights reserved © 2018

دور العوامل القبليّة والاجتماعيّة في ظهور المحكّمة الأوائل

دراسة تاريخيَّة[1]

1- نشر في الملف البحثي «التوحيد بين الأصل الإسلامي والتأويل الجهادي: الأعلام والنُّصوص» بتاريخ 22 فبراير 2018 ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، إشراف بسام الجمل، تقديم أنس الطريقي.

ملخّص

من المؤكّد أنَّ الفرق والمذاهب الدينيَّة لا تظهر بشكل مفاجئ على الساحة البشريَّة، وإنَّما تتشكّل بفعل عدد من التفاعلات الماديَّة التاريخيَّة، التي تتداخل فيها دوافع التحدي والاستجابة في شكل جدلي ديالكتيكي صاعد، حتى تصل في مرحلة زمنيّة معيّنة لإنهاء حالة التماهي، والتمايز والانفصال الكلّي عن كلّ ما سبقها من موروثات فكريّة وعقائديّة، بحيث تبدو وقتها أنَّها نتاج فكريّ مُحدث ووليد اللّحظة الآنيَّة.

وممّا لا شكّ فيه أنَّ فكرة الحاكميّة، التي تنطوي على ادّعاء الاستئثار المطلق بفهم النص المقدَّس والتشريع الديني، كانت واحدة من الأفكار الرئيسة التي ارتكز عليها خطاب العنف الطائفي والمذهبيّ الذي شاع عبر التاريخ الإسلامي.

من هنا تأتي أهميّة دراسة ظروف نشأة فرقة المحكّمة الأوائل، الذين مثّلوا الصف الأوَّل الذي انطلقت منه فيما بعد دعوات احتكار الحق المقدَّس والتحدّث باسم السلطة الإلهيَّة، وهو ما تواتر ظهوره فيما بعد في شكل جماعات الأصوليَّة الدينيَّة التي استهدفت تنفيذ الأوامر الإلهيَّة والتشريعات الربانيَّة بشتى السبل المتاحة، ودون التقيد بضوابط العُرف أو القانون أو الأخلاق.

في هذا السياق تأتي هذه الدراسة كمحاولة لفهم الخلفيّات التاريخيّة التي صاحبت ظهور فرقة المحكّمة الأوائل، حيث حاولت أن تبيّن -باختصار- المراحل الزمنيّة التي شهدت تمازجاً وتداخلاً ما بين العوامل القبليّة من جهة، والاجتماعيّة من جهة أخرى، ونتج عنها في نهاية المطاف ظهور تلك الفرقة.

وقد تمَّ تقسيم الدراسة إلى عدد من المباحث الفرعيّة؛ بدأت بمقدّمة تمهيديّة، تتعرّض لدور القبيلة وأهمّيتها في الحياة الاجتماعيّة في شبه الجزيرة العربيّة، ثمّ تمّ تخصيص مبحث للإشارة إلى الصراعات والنزاعات القبليّة التي بدأت في الظهور في السنين الأخيرة من حياة الرسول، أمَّا المبحث الثالث، فقد تناول حركة الردّة وأسبابها ودوافعها، ثمَّ دور حركة الفتوحات الإسلاميَّة في تهدئة النعرات القبليّة في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وتناول التالي طبقة القرّاء ودورهم في أحداث الثورة على الخليفة عثمان بن عفان، أمَّا المبحث الأخير، فقد ركّز على انبثاق فرقة المحكّمة الأوائل في حرب صفين، وكيف أنَّ ظهورهم لم يكن من قبيل المصادفة، ولم يكن أمراً اعتباطيَّاً أو عشوائيَّاً، بل هو تطوُّر طبيعيّ للمنهج الفكري الذي انتهجته طبقة القرَّاء. وختمت الدراسة بخاتمة أوجزت أهمّ النقاط المستفادة والمستقاة من الدراسة.

مقدّمة

كانت القبيلة هي الوحدة الاجتماعيّة السياسيّة التي اعتاد العرب على الانتساب والانتماء إليها قبل الإسلام، وتمثل دور القبيلة في المحافظة على مصالح أفرادها وجمعهم وتوفير الحماية لهم بشتّى الصور، فكانت النظم القبليّة هي التي تراعي المصالح الاقتصاديّة المتمثلة في حقوق الرّعي وتوفير المراعي والأراضي التي يوجد فيها العشب والكلأ وتقسيمها بين الأفراد، كما كانت القبيلة أيضاً هي التي توفر المنظومة الأمنيّة لأعضائها، فكانت عمليّات السلب والنهب والحرب والإغارة إنّما تتمّ بشكل قبليّ عشائريّ.

وأمام المنافع الجمّة التي وفّرها النظام القبلي للعرب قبل الإسلام، نجد أنَّ العربي قد انخرط في قبيلته انخراطاً تاماً وخضع لسلطتها واعترف بها، فكان شيوخ القبائل وكبارها هم أصحاب السلطة الأكبر والأقوى في مجتمعات بدويّة لم تكن تعترف بأيَّة سلطة مركزيّة[1].

والحقيقة أنَّ العصبيّة القبليّة كان لها دور مهمّ وكبير في الانشقاقات والتحزّبات المذهبيّة التي ظهرت في المرحلة التي عرفت واشتهرت باسم «**الفتنة الكبرى**»، ومن أهمّ الأحزاب والمذاهب التي تأثرت كثيراً بالنزعة القبليّة، كان الحزب المعروف باسم «**المحكّمة الأوائل**»، أولئك الذين عرفتهم كتب أعدائهم من السنّة والشيعة بكونهم أوّل الخوارج ظهوراً في الإسلام.

وتهدف الدراسة لمحاولة تبيان دور العوامل القبليّة والاجتماعيّة في ظهور حركة المحكّمة الأوائل، عن طريق تتبّع تطوُّر تلك العوامل في الجزيرة العربيَّة، منذ تأسيس الدولة الإسلاميَّة في المدينة حتى أحداث حرب صفّين في عام 37هـ.

العصبيَّة القبليَّة في زمن الرسول

حرص الدين الإسلامي -ومنذ بواكيره الأولى- على إرساء قيم العدالة والمساواة ما بين جميع المسلمين، فكانت نزعة العدالة الاجتماعيَّة واحدة من أهمّ النزعات التي ميّزت الدين الجديد، ففرّقت بينه وبين الأنماط الاجتماعيَّة السائدة في جزيرة العرب في بدايات القرن السابع الهجري والتي كانت في مجملها معتمدة على التمييز الطبقي والعصبيَّة القبليَّة والعشائريَّة.

1- إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر النبوي، منشورات دار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء، د. ت، ص30.

وقد ظهرت تجليّات تلك النزعة بشكل واضح في المؤاخاة ما بين المهاجرين والأنصار، وفي الحقوق التي كفلها الإسلام والرسول لفئات مظلومة مثل العبيد والنساء ولبعض القبائل والبطون والعشائر الضعيفة المهضومة الحقوق.

ورغم كلّ تلك التأكيدات التي حرصت على توحيد الصفّ الإسلاميّ من جهة، وخلق أسس وركائز مجتمعيّة جديدة ذات توجُّه ديني روحاني من جهة أخرى، فإنَّنا سنلاحظ أنَّ هنالك عدداً من الأحداث التي وقعت في السنين الأخيرة من حياة الرسول، قد ظهر فيها أنَّ نوعاً من الفرقة والشقاق والتناحر قد بدأ يدبُّ ما بين صفوف المسلمين.

ففي غزوة المريسيع في عام 5هـ حدث الخلاف القويّ الأوّل ما بين المهاجرين والأنصار، وتعصّب كلّ من الحزبين ضدّ الآخر، وكاد الأمر أن يتفاقم، لولا أنَّ الرسول الكريم قد تدارك الموقف بسرعة، فأصلح ما بين المتخاصمين وحضّهم على ترك العصبيَّة القبليَّة بقوله: (**دعوها فإنَّها منتنة**).

وفي أثناء فتح مكّة في العام الثامن من الهجرة ظهرت بعض الدعوات الانتقاميّة من جانب عدد من قيادات الأنصار، ومنهم سعد بن عبادة سيّد الخزرج الذي قال صراحة: (**اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحلّ الحرمة، اليوم أذل الله قريش**)[2]، وهو الأمر الذي كان ينذر بهجمة قبليّة عنيفة، فقام الرسول بعزل سعد بن عبادة عن مركز القيادة وعيّن ابنه قيس بديلاً له.

وبعد فتح مكّة بشهور قلائل، تجدّدت المحاسدات القبليّة بقوّة أثناء توزيع الغنائم بُعيد انتصار المسلمين في غزوة حنين، فقد ورد في عدد من المصادر أنَّ الأنصار قد غضبوا من طريقة توزيع الغنائم، وقال بعضهم: (**يغفر الله لرسول الله يعطي قريشاً ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم**)، فأوضح لهم الرسول أنَّه أعطى هؤلاء ليتألّفهم لكونهم حديثي عهد بالإسلام، وقال لهم: (**أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وترجعوا إلى رحالكم برسول الله، فوالله ما تنقلبون به خير ممَّا ينقلبون به**)[3].

كلّ تلك التوترات كانت بسبب حدوث تغيرات جسيمة في بنية وشكل المجتمع الإسلامي في تلك الفترة، فمعتنقو الإسلام الذين ابتدأ أمرهم بفئة قليلة مستضعفة، اضطر أفرادها إلى أن يهاجروا من مكّة إلى المدينة

2- أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبري (ت310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث، بيروت، 1387هـ، ج3، ص56، عز الدين بن الأثير الجزري (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997م، ج2، ص120، شمس الدين الذهبي (ت728هـ)، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، 2006م، ج2، ص162، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن محسن التركي، دار هجر، القاهرة، 2003م، ج4، ص291، عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ)، تاريخ ابن خلدون، ط2، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1988م، ج2، ص460.

3- صحيح البخاري، ج4، ص94، رقم 3147، صحيح مسلم، ج2، ص733، رقم 1059، مسند أحمد بن حنبل، ج20، ص168، رقم 12766.

ولم يتجاوز عددهم بضعة عشرات فحسب، نجدهم في حجَّة الوداع في العام العاشر من الهجرة قد زادوا عن المئة ألف[4]، ممَّا يعني أنَّ عدد المسلمين قد تضاعف لأكثر من ألف مرّة في أقلّ من عشرة أعوام فقط.

حركة الردة

بوفاة رسول الله ظهرت مشكلة كبيرة في المجتمع الإسلامي، وأقصد بها مشكلة الخلافة والتنظيم السياسي للدولة الإسلاميّة، وقام المسلمون في سقيفة بني ساعدة باختيار أبي بكر الصدّيق كأوّل خليفة، وذلك بعد بعض الصدامات ذات الصبغة القبليّة المحضة التي شهدتها السقيفة ما بين المهاجرين والأنصار[5].

على أنَّ الخطر الأكبر الذي أطلّ برأسه بعد السقيفة، تمثل في رفض العصبيّات القبليّة العربيّة الكبرى لأن يكون خليفتهم (زعيمهم) من بطن ضعيفة من بطون قريش، وذلك لأنَّ تلك العصبيّات الكبرى قد نظرت إلى الخليفة نظرتها إلى زعيم قبلي وليس إلى رئيس دولة، فكانت حركة الردّة بمثابة تعبير عن العصبيّات القبليّة الرافضة لسلطان (أبي بكر).

وممَّا يشهد على ذلك قول أحد الشعراء المرتدّين معبراً عن سخطه لانتقال السلطة لـ (أبي بكر) قائلاً:

أطعنا رسـول الله إذ كان بيننا ... فيـا لعبـاد الله مـا لأبي بكـر
أيورثها بكـراً إذا مـات بعده ... فتلك لعمرو الله قاصمة الظهر[6]

وقد أدّت حركة الرّدة لظهور عصبيّة ربيعة وعصبية مضر مرَّة أخرى على الساحة، كما أدّت لعودة التحزبات للمصطلحات القبليَّة القديمة والمشكوك في صحتها التاريخيَّة مثل اليمنيّة والقحطانيّة والعدنانيّة، ونتج عن ذلك ظهور عدد من التحالفات التي عقدتها قريش باعتبارها القبيلة الحاكمة مع بعض القبائل الأخرى الأقرب لها نسباً بغية إخضاع التمرُّد الذي قامت به القبائل المرتدَّة، فعلى سبيل المثال سنجد أنَّ هناك

4- أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت463هـ)، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، د.ت، ج2، ص 293؛ شمس الدين السفاريني الحنبلي (ت 1188هـ)، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، ط2، مؤسسة قرطبة، القاهرة، 1993م، ج1، ص31.

5- للمزيد حول ما وقع ما بين المهاجرين والأنصار في السقيفة من خلاف وصدام، راجع على سبيل المثال، محمَّد بن عمر الواقدي (ت207هـ)، الردة مع نبذة من فتوح العراق، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص32؛ ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج2، ص660؛ مسند أحمد بن حنبل، ج1، ص176، حديث رقم 18، أحمد بن يحيى البلاذري (ت279هـ)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، 1996م، ج1، ص581؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص205 -206، أبو نعيم الأصبهاني، الإمامة والرد على الرافضة، ص256، أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر ت(571هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995م، ج17، ص55، ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص67، ابن الأثير، الكامل، ج2، ص187.

6- محمَّد عمارة، الإسلام وفلسفة الحكم، دار الشروق، القاهرة، د. ت، ص70.

نوعاً من التحالف سوف يحدث بين القبائل المضريّة والقبائل المنسوبة إلى ربيعة ضدّ القبائل اليمنيَّة، أمَّا في حالة عدم وجود تهديد من اليمنيّة، فسوف يكون هناك تنافس وخصومة ما بين مضر وربيعة[7].

كانت حركة الردّة إذن تحدّياً للعصبيّة القرشيّةـالمضريّة، وبالرغم من أنَّه لا تتوافر لدينا أرقام يقينيّة عن أعداد الجيوش الإسلاميّة وقبائلها في حروب الردّة، إلّا أنَّه يمكن أن ندلّل على صحّة وجهة نظرنا بإعادة النظر في أسماء قادة الجيوش الإسلاميَّة، الذين كان من أبرزهم كلّ من:

- خالد بن الوليد
- يزيد بن أبي سفيان
- شرحبيل بن حسنة
- عمرو بن العاص

وكلّهم من القرشيّين، الذين نظروا لخروجهم لتلك الحرب بنظرة دينيّة هدفها إعادة تلك القبائل المرتدَّة إلى حظيرة الإسلام، وبنظرة قبليّة تهدف لتثبيت السلطة والحكم في (قريش).

الفتوحات وظهور طبقة القرّاء

بعد الانتهاء من حروب الردَّة، والبدء في حركة الفتوحات الكبرى في الشام والعراق استمرّ استخدام العنصر القرشي ـالمضري في القيادة، كما اكتفى أبو بكر بذلك العنصر في عمليّة التجنيد وحشد الجيوش، ورفض أن يلتحق أحد من المرتدّين السابقين بالجيوش الإسلاميّة المقاتلة، حتّى إذا توفي أبو بكر وخلفه عمر بن الخطاب، وجد أنَّه قد أصبح لزاماً عليه أن يعثر على موارد بشريَّة جديدة تمكّنه من مواصلة عمليَّات الغزو والقتال على الجبهات المتعدّدة شرقاً وغرباً، فقام بتجنيد المرتدّين السابقين وعمل على الاستفادة من خبرتهم العسكريّة الطويلة، ومن ذلك أنَّه أمر قائد جيش العراق «سعد بن أبي وقاص» أن يستشير طليحة الأسدي وعمرو بن معد يكرب وهما من أهل الردّة السابقين[8].

7- محمَّد عابد الجابري، نقد العقل العربي، ط10، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، بيروت، 2009م، جـ3، ص152.

8- أحمد بن يحيى البلاذري (ت279هـ)، فتوح البلدان، دار الهلال، بيروت، 1988م، ص 101؛ هادى العلوي، فصول من تاريخ الاسلام السياسي، ط2، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية، نيقوسيا، 1999م، ص67-68.

ولكنَّ عمر في الوقت نفسه استمرّ على سياسة سلفه في تعيين القرشيّين وحدهم في مناصب القيادة[9]، وحرص على إبقاء السيادة للقرشيّين دون غيرهم من القبائل العربيَّة الأخرى، حتى لو تطلّب ذلك استخدام القوّة والعنف ضدّ الرموز القبليّة الأخرى التي كانت تحنق على استئثار قريش بالسلطة.

وممَّا يؤكّد ذلك، أنَّه عندما حدث خلاف ما بين سعد بن أبي وقاص أمير العراق وعتبة بن أبي غزوان الذي كان من أهمّ قادة الجند، ورحل الأخير إلى المدينة واشتكى للخليفة، فإنَّ عمر قال له: (**وما عليك إذا أقررت بالإمارة لرجل من قريش له صحبة وشرف**)؟ فرفض عتبة أن يرجع إلى سعد، فأبى عمر بن الخطاب إلّا ردّه، فسقط عتبة عن راحلته في الطريق فمات[10].

ونستطيع أن نفهم تلك الحادثة بشكل أفضل إذا ما رجعنا إلى رواية (الذهبي)، حيث يورد الذهبي أنَّ (عمر) قد أنكر على عتبة قائلاً: (**وما عليك يا عتبة أن تقرّ بالأمر لرجل من قريش؟ فقال عتبة: أو لست من قريش؟ قال رسول الله: حليف القوم منهم**)[(11)]، فقد كان عتبة بن غزوان يعود في أصوله إلى قبائل بني مازن القحطانيَّة اليمنيَّة. وإنَّه ليحق لنا أن نتساءل عن كيفيَّة وأسباب وفاة (عتبة بن غزوان) أثناء رجوعه من المدينة إلى العراق، وهل كانت تلك الوفاة طبيعيَّة، أم أنَّه حادث اغتيال سياسي يهدف إلى الحفاظ على الاستقرار السياسي والإداريّ في الولايات العراقيَّة؟

خصوصاً وأنَّ هناك موقفاً مشابهاً لتلك الحادثة، وهو مقتل (سعد بن عبادة) زعيم الأنصار يوم السقيفة، فقد رفض سعد أن يبايع أبا بكر، وكذلك رفض أن يبايع عمر بن الخطّاب، وكره أن يبقى في المدينة بعد استخلاف عمر، فرحل إلى الشام، وهناك توفّي في ظروف غامضة في عام 14هـ، وقيل إنَّ الجن هي التي قتلته لكونه قد بال قائماً، وأنَّهم أنشدوا الشعر في قتله قائلين:

قد قتلنا سيّد الخزر ..... ج سعد بن عبــادة

ورمينـــاه بسهمَي .....نِ فلم نخطئ فؤاده[12]

فإذا ما أهملنا الجزء الأسطوريّ الخرافيّ في الرواية، وجدنا أنَّ هناك شبهة قويّة في أنَّ سعداً قد تعرّض لحادثة اغتيال، خصوصاً أنَّه كان من أشدّ المعارضين لعمر، وكان من أكثر الناقمين على قريش،

9- عابد الجابري، نقد العقل العربي، جـ3، ص149.

10- ياقوت الحموي (ت626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1995م، جـ1، ص433.

11- شمس الدين لذهبي (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، ط11، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 1996م، جـ1، ص305.

12- المصدر نفسه، ص277.

وهو الأمر الذي كان قد ظهر جليّاً يوم فتح مكة عندما قال قولته المشهورة: (**اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذلّ الله قريشاً**).

من جهة أخرى، كانت الأمصار الإسلاميَّة التي تمَّ بناؤها في زمن عمر قد حافظت على بقاء العصبيات القبليَّة فيها، فقد حافظ العرب على نظامهم القبلي عندما استوطنوا الأمصار الإسلاميَّة، فكانت عصبيَّة سكّان كلّ مصر من الأمصار لعشيرتهم ثمَّ لقبيلتهم ثمَّ للمدينة التي يسكنون فيها[13].

فإذا ما نظرنا إلى الولاة والحكَّام الذين كان يتمّ تعيينهم من قبل عمر على الولايات المختلفة في الدولة الإسلاميَّة، تأكّد لنا أنّ اختيارات الخليفة كانت متوافقة مع العصبيّة القبليّة القرشيّةـالمضريّة التي كان عمر ومن قبله أبو بكر يحرصون على الاستناد إليها.

يذكر(الطبري) أسماء عمّال عمر العشرة على ولايات الدولة الإسلاميَّة في آخر خلافته في عام 23هـ، فنجد أنَّ منهم ثلاثة من القرشيّين، وثلاثةً من ثقيف (المضريّة)، وواحداً من قبيلة تميم (العدنانيّة)، بينما نجد واحداً من خزاعة (التي ترتبط بقريش وبالمسلمين بتحالف قوي قديم)، وواحداً من الأنصار من ذوي الأصول اليمنيّة، وواحداً من قبيلة الأشاعرة اليمنيّين[14].

على أنّنا نلاحظ أنَّ اختيار عمر لعاملين من قبائل يمنيَّة، قد تمَّ في نطاق السياق القبلي الذي اختطّه كلٌّ من أبي بكر وعمر، فكان اختيار عمير بن سعد الأنصاري وأبي موسى الأشعري اختياراً حكيماً لأنَّ الاثنين قد عُرفا بزهدهما في الحكم والولاية وببعدهما عن أيّ صراعات عصبيّة قبليّة، ومن ثمَّ فقد كان تعيينهما في تلك المناصب بمثابة نوع من الإرضاء الصوريّ للقبائل اليمنيَّة دون أن يكون له أيّ وقع في الحقيقة على خريطة قوى ونفوذ العصبيّات القبليّة السائدة حينذاك.

وقد ظهر أثر سياسة عمر بشكل كبير بعد ذلك أثناء اجتماع الشورى لاختيار خليفة له، فأثناء اجتماع (عبد الرحمن بن عوف) مع المسلمين في المسجد للتشاور، نجد (عبد الله بن سعد بن أبي السرح) يدعو لمبايعة عثمان قائلاً: (**إن أردت ألّا تختلف قريش فبايع عثمان**)[15].

وعندما يحاول عمَّار بن ياسر أن يعلن عن تأييده لعلي بن أبي طالب، نجد أنَّ أحد السَّادة من بني مخزوم يردّ عليه قائلاً: (**لقد عدوت طورك يا ابن سميَّة، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها؟**)[16].

13- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط2، جامعة بغداد، بغداد، 1993م، جـ1، ص 213.

14- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ5، ص 86.

15- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ5، ص80.

16- المصدر نفسه، جـ5، ص80.

إذن فقد كان القرشيّون ينظرون لمسألة الخلافة بعد عمر، بصفتها أمراً قرشيّاً خالصاً وخاصّاً بأفراد القبيلة وحدهم دون غيرهم، وأنَّ المسلمين من خارج قبيلة قريش لا يمكنهم المشاركة في الاختيار، خصوصاً وأنَّ اختيارات الخليفة الثاني للمرشّحين لخلافته قد أيّدت ذلك بترشيحه لستّة رجال كلّهم من قريش، ولا يوجد واحد فيهم من خارجها.

طبقة القرّاء

في عصر الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب ظهرت على الساحة طبقة جديدة متمايزة، وهي الطبقة التي عُرفت بطبقة القرَّاء.

ولا تتوافر لدينا الكثير من المعلومات عن تلك الطبقة الجديدة، وأغلب الظنّ أنَّهم قد عرفوا بذلك الاسم لاشتهارهم بين المسلمين بقراءة القرآن والتفقّه في الدّين وكثرة العبادة[17].

ومن المهمّ أن نلتفت إلى أنَّ اسم القرَّاء لم يكن محصوراً على تلك الطبقة فحسب، بل إنّ هناك الكثير من الأحداث المبكّرة التي تمّ استخدام اسم القرَّاء فيها لتوصيف أفراد وطبقات آخرى.

من ذلك حادثة بئر معونة التي جرت في عهد الرسول، حيث تذكر المصادر التاريخيّة أنَّ تلك الحادثة قد شهدت قتل سبعين من القرَّاء[18]، وكذلك أثناء حروب الرّدة، كان هناك الكثير ممَّن عرفوا بالقرّاء الذين اشتركوا في تلك الحروب، واستشهد منهم عدد كبير في معركة اليمامة على وجه الخصوص، إلى الحدّ الذي دفع الخليفة الأوَّل إلى تدوين القرآن الكريم وجمعه لخوفه من ضياعه[19].

طبقة القرَّاء التي نقصدها تختلف كثيراً عن أولئك الأفراد الذين ظهروا في زمني الرسول وخليفته الأوَّل، ذلك أنَّ تلك الطبقة التي تمايزت عن غيرها من الطبقات في عهد عمر بن الخطاب، قد عُرفت بعدد من الخصائص التي ميّزتها في المجتمع الإسلامي.

ـ أوَّل تلك الخصائص أنَّ أفرادها لم يكونوا من قريش، بل كانوا يرجعون في أصولهم القبليّة إلى قبائل أخرى مختلفة، وبالأخصّ قبائل ربيعة وبعض القبائل اليمنيّة الأخرى.

17- يوليوس فلهاوزن، أحزاب المعارضة السياسيَّة الدينيَّة في صدر الإسلام، ترجمه عن الألمانيَّة: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958م، ص 19.

18- على سبيل المثال، راجع: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت597هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1992م، ج3، ص199.

19- جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة، 2004م، ص62.

ـ السّمة الثانية لتلك الطبقة أنَّ معظمهم لم يكونوا من أصحاب الرَّسول، بل كان السواد الأعظم منهم من المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام بعد وفاة الرّسول وقت حروب الردّة.

ـ الأمر الثالث الذي عُرف عن تلك الطبقة، أنَّهم قد تتلمذوا على يد عدد من كبار فقهاء الصحابة، أولئك الذين انتشروا في أقاليم الدولة الإسلاميَّة، خلال فترة الفتوحات الإسلاميّة، في بلاد فارس والعراق ومصر والشام، ومن أهمّ هؤلاء الصحابة عبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وأبو الدرداء، ومعاذ بن جبل وأبيّ بن كعب.

عرف القرّاء مبادئ الإسلام وأحكامه إذن من خلال ذلك الرّعيل الأوّل من فقهاء الصحابة، فكان هؤلاء الصّحابة هم الوسيط ما بين تلك الطبقة من جهة وفهم الدين الإسلاميّ من جهة أخرى.

في زمن عمر بن الخطاب وفي النصف الأوّل من زمن عثمان بن عفان، كانت تلك الطبقة تشارك بقوّة في حروب الفتح على الجبهات المختلفة في معيَّة أساتذتهم من الصّحابة القرشيّين، وكانت مجهودات القرّاء في عمليّات الفتح والحروب ظاهرة وواضحة للعيان، ممَّا دفع الخليفة الثاني لتمييزهم دوناً عن غيرهم من المقاتلين، وقد ظهر أثر هذا التمييز في أمرين مهمَّين: الأمر الأوّل هو تفضيلهم في العطاء، حيث أمر عمر بإقرار قاعدة جديدة في توزيع الأموال، وهي أن يتمَّ توزيع الأموال على معايير درجة القرابة من الرّسول والسّبق في الإسلام والكفاية والغناء في الحروب والمعارك[20]، وبموجب تلك المعايير الجديدة كان عطاء القرّاء أكثر ممَّن سواهم، وذلك بسبب بلائهم وكفاءتهم في الحروب والمعارك.

أمّا الأمر الثاني الذي ظهر فيه تفضيل عمر بن الخطاب للقرَّاء، فهو إتاحة الفرصة لهم للانتقال في الأمصار لتعليم الدين والقرآن والشريعة، وملازمة الجند للإشراف على الشؤون الدينيّة لهم، ونتج عن ذلك فصل تلك الطبقة عن فئة كبار الصحابة الذين كانت سياسة الخليفة الثاني ترى ضرورة عدم تركهم لحاضرة الدولة الإسلاميّة في المدينة، وخطورة توزّعهم في أطراف العالم الإسلامي.

موقف القرّاء من الثورة على الخليفة الثالث

في النصف الأوّل من عهد عثمان بن عفّان لم تتغيّر سياسته عن سياسات سلفه، وبقي القرّاء يحتفظون بمكانتهم عند الدولة، كما أتيحت لهم الفرصة لممارسة دورهم التعليميّ والدعوي على نطاق واسع، وبدأ بعضهم في تحقيق شهرة كبيرة ساعدهم في تحقيقها ما عُرف عن زهدهم وكثرة عبادتهم وميلهم للتقشّف.

20- البلاذري، فتوح البلدان، ص632.

ولكن في النصف الثاني من عهد عثمان، اتّضح أنَّ الكثير من العوامل قد تضافرت مع بعضها بعضاً لخلق حالة من السخط والغضب المكتوم ما بين صفوف المسلمين، ذلك الغضب الذي سرعان ما انفجر في أواخر عام 35هـ، في ثورة عارمة على الخليفة، حيث تمخَّضت تطوُّراتها في النهاية عن اغتياله.

ويحاول (عبد الرحمن بن خلدون) أن يفسّر سبب الثورة ضدّ عثمان واضعاً في اعتباره الاعتبارات القبليّة فيقول: (**كانت عروق الجاهليّة تنفض، ووجدوا الرياسة عليهم للمهاجرين والأنصار من قريش وسواهم، فآنفت نفوسهم منه**)[21].

والحقيقة أنّنا نرى أنَّ (ابن خلدون) لم يقم بالتوصيف الصحيح للحالة القبليَّة في عهد عثمان، فالرّياسة (**لم تكن للمهاجرين والأنصار من قريش وسواهم**) كما قال، بل كانت في دائرة أضيق بكثير من تلك الدائرة، فإذا ما حاولنا أن نحصي عدد الوظائف المهمَّة والرئاسيَّة في الدولة الإسلاميَّة في زمن عثمان وأن ننظر في أسماء وشخصيَّات من تعاقبوا على تولّيها في ذلك العهد، وجدنا أنَّ جلّهم من القرشيّين، وأكثر هؤلاء كان من (بني عبد شمس) و(بني أميَّة) على وجه الخصوص.

وقد عبّر عن ذلك أحد الشعراء الكوفيّين فقال معبّراً عن سخطه في تعاقب الأمراء القرشيّين في حكم الكوفة:

فررت مـــن الوليد إلى سعيد ... كأهل الحجر إذ فزعوا فباروا
يلينـــا مـــن قريش كلّ عـــام ... أميـــــر محـــــدث أو مستشار
لنـــا نـــــار تحرقنـــا فنخشى ... وليس لهم، ولا يخشـــون، نار[22]

فقد بدأت القبائل العربيَّة -التي كانت في مرحلة سابقة قد أعلنت عن رفضها للحكم القرشي بالرّدة عن الإسلام- بالاعتراض على السلطة المركزيّة القرشيّة بأسلوب جديد، وهو الاستناد إلى تعاليم الإسلام وأصوله ومبادئه وأسسه في الثورة على السلطة.

فإذا جاز لنا أن نصف (حركة الردّة) بأنَّها كانت حركة اجتماعيّةسياسة، أعلنت ردّتها عن الإسلام من منظور اجتماعيّ ـ سياسيّ أكثر من كون الحركة كانت من منطلق ديني، فإنَّه في الوقت ذاته، من الممكن أن نصف ثورة الأمصار ضدَّ الخليفة الثالث، بأنَّها كانت حركة اجتماعيَّة ـ سياسية أعلنت تمسّكها بالإسلام وحرصها على أن يعود إلى سيرته الأولى، بعد أن تمَّ تبديله وتغييره على يد الخليفة الأمويّ وأتباعه.

21- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ2، ص587.

22- محمَّد عمارة، الإسلام وفلسفة الحكم، ص94.

فالقبائل العربيَّة المشاركة في الثورة كانت صاحبة الدور الأكبر في حركة الفتوحات، ومن ثمَّ فقد اعتقدت أنَّ الأقاليم والأمصار الإسلاميَّة محصّلة لجهودها لا جهود الطبقة الحاكمة من قريش وأتباعها.

ويدلّ على ذلك أنَّ (زيد بن صوحان) وهو من زعماء الثوار، قال لمعاوية عندما تمَّ ترحيل الطليعة الثوريَّة من العراق للشام: (**كم تكثر علينا من الإمرة، وبقريش، فما زالت العرب تأكل من قوائم سيوفها، وقريش تجّار**)[23].

وقد لاحظ عدد من الولاة العلاقة بين الثورة وحركة الردّة، فعندما جاء عدد من الثوار إلى (الجزيرة) عند واليها (عبد الرحمن بن خالد بن الوليد)، قال لهم غاضباً: (**أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من عجمته العاجمات، أنا ابن فاقئ الردّة**)[24].

إنَّ (عبد الرحمن) يعرّض بالثوار، ويربط بينهم وبين المرتدّين الأوائل، خصوصاً وأنَّهم من قبائل كانت قد شاركت من قبل في الردّة بعد وفاة الرسول، فمن الممكن أن نعتبر أنَّ كلاً من الردّ
ة والثورة كانتا تجلّيين مختلفين لظاهرة واحدة، وأقصد بها ظاهرة رفض العصبيّات القبليَّة العربيَّة الكبرى لتحكم، وسيطرة قبيلة قريش في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان.

ووسط تلك الأحداث المتلاحقة وقف القرَّاء مع قبائلهم وعصبيّاتهم وعشائرهم ضدَّ الدولة والخلافة، وكثيراً ما حاول بعض الأفراد المنتسبين لهم أن ينصح الخليفة الثالث بتغيير سياسته القائمة على محاباة أقاربه.

ومن ذلك أنَّه لمَّا زادت شكاوى الكوفيّين من عثمان زمن ولاية سعيد بن العاص، اتفقوا أن يرسلوا **عامر بن عبد القيس التيمي** إلى المدينة ليكون سفيراً لهم عند الخليفة، وليوضّح له طلباتهم وشكاويهم، وكان عامر من الذين عُرفوا بزهدهم وتنسّكهم وبعدهم عن ملذّات الحياة والإقبال على العبادة والطاعة، حتى عُرف بلقب (راهب الأمذة)[25]، وعندما وصل عامر بن عبد القيس إلى المدينة قابل عثمان فقال له:

(**إنّ ناساً من المسلمين اجتمعوا ونظروا في أعمالك، فوجدوك قد ركبت أموراً عظاماً، فاتق الله، وتب إليه، وانزع عنها. فقال عثمان انظروا إلى هذا، فإنَّ الناس يزعمون أنَّه قارئ، ثمّ يجيء فيكلّمني في المحقرات ويزعم أنَّها عظائم، فو الله ما يدري أين الله، فقال له عامر: أنا لا أدري أين الله؟ فردَّ عثمان**

23- أبو بكر ابن العربي المالكي (ت543هـ)، العواصم من القواصم، تحقيق: محب الدين الخطيب، مركز السنّة للبحث العلمي، القاهرة، د. ت، ص292.

24- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ5، ص 136.

25- أبو علي محمَّد بن يعقوب مسكويه (ت421هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2003م، جـ1، ص 273؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ4، ص15.

قائلاً: نعم، والله لا تدري أين الله. فأنهى عامر الحديث مع الخليفة قائلاً: بلى والله، إنّي لأدري أنَّ الله لك بالمرصاد)[26].

والحقيقة أنَّ ذلك الحوار القصير الذي دار بين راهب الأمَّة وخليفتها يوضّح طبيعة الصراع الذي دار بين فئات المجتمع المسلم في ذلك الوقت، فعامر بن عبد القيس، وإن كان من الصحابة الذين كان لهم شرف رؤية الرسول، إلّا أنَّه لم يكن محسوباً على طبقة الصحابة التي كان عثمان على رأسها في ذلك العهد، فكان الحوار بين الرجلين يعبّر عن صدام وشيك بين طبقة من المسلمين الزاهدين العابدين الذين فهموا الإسلام على كونه عقيدة ثوريَّة تعلي من قيم الاشتراكيَّة والزهد والثورة على الطاغوت وتوحيد الله، بغضّ النظر عن التحيّز القبليّ والعصبيّة العشائريّة، وبين طبقة أرستقراطيَّة من كبار الصحابة القرشيّين الذين تقلّبت بهم الدنيا وانفتحت أمامهم أبوابها وخيراتها.

وكان النقاش الذي دار ما بين الرجلين يبيّن الخلاف حول مفهوم الذنوب، فعامر كان يرى أنَّ ما فعله عثمان يندرج تحت نطاق العظائم، أمَّا عثمان، فكان يرى أنَّ تلك الذنوب نفسها تندرج تحت نطاق الصغائر والمحقرات، ويمكن أن نعتبر المناظرة بين الرجلين بمثابة مقدّمة تاريخيَّة وفكريَّة حقيقيَّة لظهور فرقة المحكّمة فيما بعد.

وقد حاول عثمان أن يتفادى المخاطر التي من الممكن أن تأتيه من جانب عامر بن عبد قيس وشيعته من القرّاء والزهّاد الكوفيّين، ولذلك أمر بنفي عامر إلى الشام عند معاوية بن أبي سفيان، وبقي عامر في الشام حتى وفاته زمن خلافة معاوية، وكان نفيه من العراق إلى الشام قد أثار غضب وسخط طبقته من القرّاء وأهل العلم والدين والزهد في الكوفة ممَّا ألّب على عثمان الكثير من الثوّار الناقمين.

والواقع أنَّ تلك الحادثة وغيرها من الحوادث الأخرى قد أظهرت حجم الهوَّة الفاصلة ما بين القرَّاء وطبقة كبار الصحابة، خصوصاً وأنَّ الكثير من القرَّاء كانوا قد تخلّصوا في ذلك الوقت تحديداً من قيود تبعيّتهم المطلقة لفقهاء الصحابة، وصار منهم الكثير من الفقهاء والعلماء الذين حاولوا فهم الدين وفق إيديولوجيّتهم الثوريَّة الحانقة على رفاهية وأرستقراطيَّة السلطة الحاكمة، ومن ثمَّ فقد اعتقدوا أنَّ استبداد قريش بالحكم هو أمر مرفوض من الناحية الدينيَّة، خصوصاً وأنَّ الإسلام قد أرسى قواعد العدالة والحق في المساواة ما بين المسلمين جميعاً.

26- مسكويه، تجارب الأمم، جـ1، ص2.

انبثاق المحكّمة الأوائل

بعد مقتل الخليفة الثالث، انهال الثوار والقرّاء على عليّ بن أبي طالب، بغية مبايعته بأمر الخلافة، والحقيقة أنَّ اختيار علي من قبل الثوار لم يكن أمراً غريباً أو مستهجناً، حيث يمكن أن نحدّد الاعتبارات التي جعلت هؤلاء يقبلون على علي بن أبي طالب ويرتضونه خليفة، في النقاط الآتية:

ـ كانت قريش تستطيل على باقي العرب بقربها من الرسول، رغم أنَّ القرشيّين كانوا قد هضموا حقّ بني هاشم أقرب الناس إلى الرسول، فكان اللّجوء إلى علي بن أبي طالب ابن عم الرسول وزوج ابنته وأبي أحفاده، فيه ما فيه من إبطال لحجج القرشيّين التي لطالما تفاخروا بها عليهم.

ـ إنَّ شخصيَّة علي كانت أقرب إلى الثوّار وطبقة القرّاء من شخصيّة عثمان وغيره من بني أميَّة، فهؤلاء الثوّار قد بنوا شهرتهم على أساس أنَّهم محاربون ومقاتلون أشدّاء، حاربوا الرّوم والفرس في اليرموك والقادسيّة وغيرهما من المعارك الكبرى، وكان علي بن أبي طالب يمثل لهم النموذج الكامل التام للفروسيّة والفتوّة والبطولة، ولم لا؟ وهو الذي ضُربت في شجاعته الأمثال في معارك بدر وأحد والخندق وخيبر، كما أنَّه كان معروفاً ومشهوراً بسمات الزهد والتقشف والعلم، ممَّا جعله مثالاً ونموذجاً يُحتذى به، بعكس عثمان الذي كان يمثّل لهم شخصية التاجر الثري الذي يغدق من أموال الخلافة على أقاربه ومعارفه دون أن يحفظ لفارس حقّاً أو لمحارب سابقة.

وبعد استخلاف علي، ظهرت سريعاً أمارات الاتفاق ما بين سياسته من جهة وطموحات الثوار وأفكارهم من جهة أخرى، وظهر ذلك بشكل واضح في أمرين مهمّين:

الأمر الأوَّل: قيام الخليفة الرابع بتوزيع الأعطيات بشكل متساوٍ على جميع المسلمين دون النظر لقبائلهم أو لسبقهم في الإسلام، ويظهر ذلك بشكل واضح في قوله: (**... فأنتم أيُّها الناس عباد الله المسلمون، والمال مال الله يُقسم بينكم بالسويَّة، وليس لأحد على أحد فضل إلّا بالتقوى، وللمتقين عند الله خير الجزاء، وأفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتقين جزاء، وما عند الله خير للأبرار**)[27].

الأمر الثاني: مسألة الإقطاعات التي كان عثمان بن عفّان قد توسَّع في توزيعها على أعوانه وأقاربه، فقد أمر علي بنزعها من يد أصحابها وردّها إلى الدولة مرَّة أخرى، ففي اليوم الثاني من بيعته بالمدينة، خطب علي قائلاً: (**ألا إنَّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال،**

27- أبو جعفر محمَّد بن الحسن الطوسي (ت460هـ)، الأمالي، دار الثقافة، قم، 1414هـ، ج2، ص323؛ ابن أبي الحديد (ت656هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمَّد إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت، 2007م، ج3، ص38.

فإنَّ الحق القديم لا يبطله شيء ولو وجدته وقد تزوّج به النساء وفرّق في البلدان لرددته إلى حاله، فإنَّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه الحق، فالجور عليه أضيق)[28].

ومن المؤكد أنَّ تلك السياسات الاقتصاديَّة، وإن كانت تصادف رغبة واقتناعاً حقيقيَّاً من جانب الخليفة الرابع، فإنَّها كانت في الوقت نفسه تتلاءم بشكل كبير مع رغبات وأهداف الطبقة الجديدة من شيعة علي بن أبي طالب، تلك الطبقة التي ما ثارت على الخليفة الثالث إلّا لأنَّه آثر قريشاً بالأعطيات والإقطاعات.

ولكن من المهم أن نشير إلى أنَّ التوافق ما بين الخليفة والثوار لم يكن كاملاً أو تامَّاً، فقد بدأ علي ينظر إلى نفسه على كونه صاحب جميع السلطات، كما كان الأمر مع أسلافه الثلاثة السابقين، وهو الأمر الذي أثار دهشة وانزعاج بعض أتباعه في بعض الأحيان، وظهر ذلك في الكثير من المواقف، منها قول الأشتر -وكان من أعظم أصحاب وأعوان علي بعد استخلافه- عندما بلغه خبر تعيين الخليفة الرابع لبعض أبناء عمه العباس على بعض الولايات (على ماذا قتلنا الشيخ أمس؟)[29]. فهو يتعجَّب من السياسة الإداريَّة للخليفة الجديد، تلك السياسة المشابهة لسياسة سلفه، والتي أثارت الغضب والأحقاد في صفوف العرب، لاعتبارهم أنَّها تقوم على أسس قبليَّة ضيّقة.

على كلّ حال فإنَّ الثوار والقراء، قد أيّدوا الخليفة الرابع في كلّ القرارات التي اتخذها عقب استخلافه، وحاربوا معه في معركة الجمل في عام 36هـ، حيث وجدوا فيها فرصة مناسبة للتعبير عن عصبيّتهم وقوّتهم من ناحية، وإعلان تفوّقهم على الحزب الأرستقراطي القرشي الذي كان يمثله كلّ من الزبير وطلحة ومروان بن الحكم زعماء الجبهة المقابلة لهم من ناحية أخرى.

وبعد النصر في معركة الجمل، استمرَّ القراء على موقفهم في موقعة صفين، في بدايات عام 37هـ، حيث اعتقد هؤلاء أنَّ عدوهم في صفين إنَّما يمثل البقيَّة الباقية من الطبقة الارستقراطيَّة الحاكمة، وتحقيق النصر في تلك الموقعة إنَّما يضع الدولة الإسلاميَّة على الطريق الصحيحة، المتمثلة في الاحتكام لقيم الإسلام الكبرى المنحصرة في المساواة والعدالة بغضّ النظر عن التحزّب للقبيلة أو العشيرة أو الشخوص.

ورغم اقتراب جيش العراق من الانتصار في تلك المعركة، إلّا أنَّ طلب جيش الشام الاحتكام لكتاب الله ورفعهم للمصاحف على أسنَّة الرّماح، قد جعل الكثير من قادة عليّ يطالب باللجوء للتحكيم ورفضوا استكمال المعركة رغم أوامره التي طالبتهم بالقتال[30].

28- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج1، ص270.

29- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج4، ص125.

30- مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص559؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص65.

وأمام تلك الضغوط المتزايدة على الخليفة الرابع، لم يجد بدًّا من توقيف الحرب، وإعلان رضوخه لأمر التحكيم، رغم عدم رضاه وعدم موافقته، وهنا حدث الانفصام والانشقاق الأوّل في جيش العراق، ففي الوقت الذي وافق فيه معظم الجيش على التحكيم وسعوا له سعياً، كانت هناك فئة متمايزة تشذّ عن الصفّ العراقي، وكان معظم أفراد تلك الفئة من طبقة القرَّاء ومن بني تميم على وجه الخصوص[31].

ووسط تلك الأجواء المضطربة، جهر (عروة بن أدية الحنظلي) بجملة (لا حكم إلّا لله)، وتبعه في ذلك عدد كبير من القرَّاء[32]، وسرعان ما ترك هؤلاء المعسكر العراقي وانفصلوا عن جيش الخليفة الرابع، واجتمعوا في مكان يُعرف بحروراء، فعرفوا بالحروريَّة أو بالمحكّمة الأوائل.

الخلاصة

خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج المهمَّة، التي سوف نجملها في النقاط الآتية:

ـ إنَّ (المُحكّمة) الذين ظهروا في معركة صفّين، كانوا نتاجاً ومحصّلة طبيعيَّة لعمليات معقدة من تداخل الظروف القبليَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والفكريَّة، وكانوا فريقاً من طبقة واسعة، هي طبقة القرَّاء.

ـ إنَّ أحد أهمّ النقاط التي ساعدت في تشكيل القراء لمذهب فكريّ متمايز، هو سماح الخليفة الثاني لهم بالانفصال عن أساتذتهم من كبار الصحابة، فقد أدَّى ذلك لإتاحة الفرصة لظهور مذهب فكري جديد، يعمل على مناقشة أوامر الدين ونواهيه من خلال مصادره الرئيسة وهي: (القرآن والحديث)، دون المرور على فهم طبقة كبار الصحابة.

ـ إنَّ موقف المحكّمة من حادثة التحكيم أثناء موقعة صفين، يتوافق بشكل كبير مع أفكارهم بخصوص المساواة والعدالة وعدم التمايز القبلي، وتسييد الشريعة وإعلائها على آراء الأشخاص، مهما كانت مكانتهم الاجتماعيَّة والدينيَّة، فقد رفض المحكّمة وقف القتال ضدَّ جيش الشام، واعتقدوا بضرورة الاستمرار في قتالهم حتى النهاية، ولم تدع حماستهم الدينيَّة ومشاعرهم الإيمانيَّة مكاناً في قلوبهم وعقولهم للسياسة وقبول الحلول الوسطى المتمثلة في قبول التحكيم.

31ـ فلهاوزن، أحزاب المعارضة، ص6.

32ـ المرجع نفسه، ص5.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن أبي الحديد المعتزلي (ت656هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمَّد إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت، 2007م.

- ابن الأثير، عز الدين الجزري (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997م.

- البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت463هـ)، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، د. ت.

- البلاذري، أحمد بن يحيى (ت279هـ)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، 1996م.

- المؤلف نفسه، فتوح البلدان، دار الهلال، بيروت، 1988م.

- الجابري، محمَّد عابد، نقد العقل العربي، ط10، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009م.

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت597هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا - مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1992م.

- حركات، إبراهيم، السياسة والمجتمع في العصر النبوي، منشورات دار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء، د. ت.

- الحموي، ياقوت (ت626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1995م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت808هـ)، تاريخ ابن خلدون، ط2، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1988م.

- الذهبي، شمس الدين (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، ط11، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 1996م.

- المؤلف نفسه، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، 2006م.

- السفاريني، شمس الدين الحنبلي (ت 1188هـ)، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، ط2، مؤسّسة قرطبة، القاهرة، 1993م.

- السيوطي، جلال الدين (ت911هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة، 2004م.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث، بيروت، 1387هـ.

- الطوسي، أبو جعفر محمَّد بن الحسن (ت460هـ)، الأمالي، دار الثقافة، قم، 1414هـ.

- ابن العربي، أبو بكر المالكي (ت 543هـ)، العواصم من القواصم، تحقيق: محب الدين الخطيب، مركز السنَّة للبحث العلمي، القاهرة، د. ت.

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ت (571هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: -عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995م.

- العلوي، هادي، فصول من تاريخ الإسلام السياسي، ط2، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكيَّة، نيقوسيا، 1999م.

- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط2، جامعة بغداد، بغداد، 1993م

- عمارة، محمَّد، الإسلام وفلسفة الحكم، دار الشروق، القاهرة، د.ت

- فلهاوزن، يوليوس، أحزاب المعارضة السياسيَّة الدينيَّة في صدر الإسلام، ترجمه عن الألمانيَّة: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصريَّة، القاهرة، 1958م

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (ت774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن محسن التركي، دار هجر، القاهرة، 2003م

- مسكويه، أبو علي محمد بن يعقوب (ت421هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2003م

- الواقدي، محمَّد بن عمر (ت207هـ)، الردة مع نبذة من فتوح العراق، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

All rights reserved © 2018

جميع الحقوق محفوظة © 2018